

روايات عن أصول الأسرة المالكة عند الداجو في دارفور

جعفر علي فضل

Abstract: Darfur civil war is continuously attracting the curiosity of the worldwide community and media which aim at understanding the roots and causes of the war, including its humanitarian impacts since 2003. Three royal dynasties of the Daju, Tunjur and Fur ruled Darfur from the earliest time to 1916, when the region was annexed to the Sudan during the Condominium administration. The problem is that there is obscurity and confusion about the origins of these dynasties generally, and the Daju dynasty particularly. This is because Darfur history has no written records and depends mainly on oral traditions. These kingdoms were established on and around Jebel Marrah massif, which may cause confusion in the case of archaeological excavations. The historical method is implemented in this study in order to shed light on the origins of the Daju royal dynasty.

مقدمة

شهد تاريخ إقليم دارفور قيام ثلاث سلطنات هي سلطنة الداجو، التنجر والفور. وقد تعاقبت الأسر المالكة الثلاث على حكم المنطقة وكان آخرها أسرة سلاطين الفور التي حافظت على استقلال الإقليم حتى اتبعت إدارته للسودان في عهد الاستعمار البريطاني المصري عام ١٩١٦م.

وتعتبر الأسرة المالكة عند الداجو هي أول أسرة أقامت سلطنة في دارفور ثم تشاد في الوقت الذي أفل فيه نجم الممالك النوبية في شمال السودان. وإثنية الداجو هي العنصر الرئيس الذي أنشأ هذه السلطنة وتتمثل المشكلة في أن الغموض يدور حول أصول تلك الأسرة بسبب قلة المصادر المدونة التي توثق لتاريخ دارفور في

ذلك العهد. وقد اعتمد المؤرخون على الروايات الشفاهية التي يرويها الشيوخ جيلاً بعد جيل في كتابة تاريخ الإقليم. تتناول هذه الدراسة عدد من الروايات التي تؤرخ لأصل الأسرة المالكة ومعظمها روايات شفاهية وعادة ما يكتنفها الغموض والالتباس والتحريف وتفتقر إلى الترابط والتنسيق لإجلاء الصورة المكتملة.

الدراسات السابقة

يهدف هذا الجزء إلى عرض العوامل التي أدت إلى غموض أصول الأسرة المالكة عند الداجو. فبالرغم من أن تلك الأسرة استطاعت إقامة أول نظام للدولة في دارفور إلا أنها ظلت مجهولة الهوية لعدة أسباب. فتاريخ دارفور لم يكن مدوناً بل كان الناس يروونه في شكل قصص وحكايات تنتقل عبر الأجيال شفاهة مما يجعل تلك الروايات عرضة للبتر أو التحريف أو النسيان. كما أن الشيوخ وكبار السن كانوا يمثلون الرواة الذين يلجأ إليهم الناس لمعرفة هوية الحكام وهم عرضة لفقدان الذاكرة بسبب المرض أو الموت، وبالتالي فرواياتهم قد تميل أحياناً إلى إخفاء أو إضافة الأساطير والأشياء الخارقة لتعظيم وإضفاء هالة أو قداسة للأسرة المالكة التي ينتمون إليها. والمعروف أن السلطنات الثلاث نشأت في منطقة واحدة هي جبل مرة وما حولها وخلفت كل سلطنة معالم مادية مهمة. علماً بأن الجزء الأهم من الأسرة المالكة عند الداجو قد هاجروا غرباً في القرن السادس عشر الميلادي مقتفين أثر السلطان عمر الملقب بـ "كسي فروك" صاحب قصة التيتل المشهورة واستطاعوا تأسيس المرحلة الثانية من سلطنة الداجو في دارسلا في دولة تشاد. وبالتالي انتقلت ذاكرة التاريخ والوثائق والمخطوطات مع تلك الأسرة ولم يكشف النقاب عنها إلا بعد القضاء على سلطنة دارسلا على يد الاستعمار الفرنسي عام ١٩١٦م. وأدى ميل معظم المؤرخين إلى نفي نظرية "الغريب الحكيم" للأسر المالكة في دارفور لتأكيد إفريقية تلك السلطنات لعدم توفر مصادر توثيق وتحقيق عن أصول تلك الأسر.

ولا يعرف على وجه الدقة متى تأسست مملكة الداجو في كردفان غير أن مكمايكل (MacMichael) حصل على نسبة تبين أن السلطان كردم جد العباسيين قد استقر مع أولاده في كردفان نحو عام ١٧١ م. وفي ضوء ذكر السلطان كردم في مخطوطة نسب الداجو المرفقة في الملحق (أ) والموضحة في روايات الأصل الهلالي والعباسي، فربما أسس الداجو مملكتهم أولاً في تلك الفترة في منطقة جبل قدير وبوفاة الملك قدير انتقل مركز السلطة إلى جبل مرة في دارفور.^(١) وعندما انهارت السلطنة في دارفور هاجر الداجو غرباً وأسسوا سلطنتي الداجو في دارسلا ودار الداجو في منقو في تشاد. واتجه قسم آخر من الداجو جهة الجنوب الشرقي وأسسوا مملكة الداجو في دينقا (غريقة أو المجلد) الحالية وكانت تتبع لهم منطقتا أبيي والميرم، ولما أخرجهم منها المسييرية هاجروا إلى جهة الشمال الشرقي إلى كادوقلي ولقاوة وأسسوا سلطنات هناك. ثم هاجر آخرون إلى مناطق كازقيل، العين، خورطقت في شمال كردفان، كما وصل آخرون إلى الجزيرة، سنار، الدمازين، وشرق السودان.^(٢)

(١) Harold A. MacMichael (1922) *A History of the Arabs in the Sudan and Some Account of the People who Preceded them and of the Tribes Inhabiting Darfur*. Vol. I-II. Cambridge: Cambridge University Press, pp. 10-11.

وتؤكد رواية أخرى أن كردم بن أبو الديس هو من أوائل أسلاف العباسيين الذين دخلوا بلاد السودان وتذكر الروايات أنه هاجر مع أسرته واستقر بكردفان ربما في حوالي عام ١٣٠٠ م. انظر:

Richard Hill (1951) *A Bibliographical Dictionary of the Anglo-Egyptian Sudan*. Oxford: Oxford University Press, p. 197.

K.D.D. Henderson (1932) "Notes [on] Origin of the Daju", *SNR*, vol. xv, pp. 151-152; (٢) K.D.D. Henderson (1965) *Sudan Republic*. London: Ernest Benn Ltd., p. 152;

وأحمد عبد الله آدم (١٩٨٤م)، أصول البقارة والدينكا في قضية أبيي. الخرطوم: دار الأيام، ص ١٠٥.

أصل التسمية

يعود أصل تسمية الداجو بهذا الاسم إلى أنهم ينسبون إلى السلطان أحمد الداج وهو أول سلاطين الأسرة المالكة عند الداجو الذين حكموا دارفور. ولُقِبَ السلطان بـ"الدَّاج" لأنه اشتهر وقومه بكثرة الترحال والتنقل في جماعات.^(٣)

فقد ورد في "لسان العرب" في باب الفعل "دَجَجَ" و"الصَّحاح" و"تاج العروس" الآتي:

دَجَّ القَوْمُ يَدِجُونَ دَجًّا وَدَجِجًا وَدَجَجَانًا: أَي مشوا مشياً رويداً في تقاربٍ خطو. وقيل هو أن يُقْبِلُوا وَيُدْبِرُوا. وقيل هو الدَّيْبُ بعينه؛ وَدَجَّ يَدِجُ إذا أسرع، وَدَجَّ يَدِجُ وَدَبَّ يَدِبُّ بمعنى واحد، قال ابن مقبل:

إذا سد بالمحل أفاقها جهامٌ يدِجُ دَجِجَ الظعن

قال ابن السكيت: لا يقال يَدِجُونَ حتى يكونوا جماعة، ولا يقال ذلك للمفرد الواحد، وهم الدَّاجَة. وَدَجَّ البيت إذا وَكَّفَ. وقيل أقبل الحاجُّ والدَّاجُ: فالحاجُّ هم الذين يحجون البيت، والدَّاجُ هم الذين معهم من الأجراء والمُكَّارِين والأعوان ونحوهم، لأنهم يَدِجُونَ على الأرض أي يَدِبُّون ويسعون في السفر، وهذان اللفظان وإن كانا

(٣) Harold A. MacMichael (1912) *The Tribes of Northern and Central Kordofan*. London: Frank Cass & Co. Ltd., p. 52; R.S. O'Fahey et al. (1983) "Land in Dār Fūr: Charters and Related Documents from the Dār Fūr Sultanate", *African Affairs*, Vol. 82, No. 329 (Oct., 1983), pp. 582-583; Henri Berre (1984) "DAJU", in *Muslim Peoples: A World Ethnographic Survey*, ed. by R.V. Weekes. Westport: Greenwood Press, p. 221.

مفردين فالمراد بهما الجمع. كقوله تعالى: (مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ).^(٤) وقيل هم الذين يدبّون في آثارهم من التجار وغيرهم.^(٥)

ورد في كتاب "أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار" الآتي:

حدثنا أبو الوليد قال: حدثنا جدي حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن طلق قال: سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه زيد بن صوجان، أين منزلك بمنى؟ قال في الشق الأيسر، قال عمر: ذلك منزل الداج فلا تنزله، قال سفيان: ثم يقول عمر: ومنزلي منزل الداج، والداج^(٦) هم التجار.^(٧)

وجاء في كتاب "الفائق في غريب الحديث والآثر":

دَجَّ دَجِيجًا، إِذَا دَبَّ وَسَعَى وَمِنْهُ الدَّاجُ، وَهُمْ الَّذِينَ يَسْعَوْنَ مَعَ الْحَاجِّ فِي تِجَارَتِهِمْ، وَقِيلَ: هُمُ الْأَعْوَانُ وَالْمَكَارُونَ. وَعَنْ بَعْضِهِمْ: الدَّاجُ: الْمَقِيمُ. وَأَنشَدَ:

عَصَابَةُ إِنْ حَجَّ عَيْسَى حَجُّوا وَإِنْ أَقَامَ بِالْعِرَاقِ دَجُّوا^(٨)

(٤) الآية (٦٧)، سورة المؤمنون.

(٥) ابن منظور الأفرريقي، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري (١٩٥٥م)، لسان العرب، مجلد ٢ (ت-ح). بيروت: دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت للطباعة والنشر، ص ٢٦٣-٢٦٤: الجوهري، إسماعيل بن حماد (١٩٥٦م)، الصحاح الجزء الأول، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار. القاهرة: دار الكتاب المصري، ص ١٩٨: الزبيدي، الإمام اللغوي محب الدين أبو الفيض الزبيدي الحنفي (١٨٨٩م)، تاج العروس من جواهر القاموس، المجلد الثاني. بيروت: منشورات مكتبة الحياة، ص ٣٨-٣٩.

(٦) أصلها "الداج" والواو عوض عن الضمة كما في "الداجو".

(٧) الأزرق، محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد (١٩٨٣م)، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار. بيروت: دار الكتاب العربي، ص ١٩٩.

(٨) الزمخشري، محمود بن عمر (١٩٤٥م)، الفائق في غريب الحديث، ضبطه وصححه علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ص ١٢٤.

ويقال في المثل "ما حَجَّ ولكنه دَجَّ" كما ورد في كتاب "مجمع الأمثال"^(٩) وكتاب "جمهرة الأمثال"^(١٠). وبالتالي يمكن القول أن أسلاف الداجو من الأسرة المالكة ربما هاجروا من الجزيرة العربية وذلك لأن دلالة لقب السلطان أحمد الداج تعود بجذورها إلى بلاد الحجاز.

وتستخدم عادة عبارة "فلان دَجَّ" و"فلان داج"^(١١) في فصيح كلام أهل غرب السودان حتى الآن. والعلاقة بين تلك الأمثال والمثل الدارفوري "الداجو دَجَّ لا فُقَرَا لا حُجَّاج، يوم القيامة يَقُومُوا عَجَّاج" هي أنه يُضْرَب لمن يُشَدُّ رحاله إلى مكان بعيد جداً أو يُضْرَب لمن لا يُقِيم في مكان محدد ولا يُعرف له مستقر. وهناك مضمون آخر للمثل

(٩) الميداني، أحمد بن محمد (١٩٥٥م)، مجمع الأمثال، الجزء الرابع، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. القاهرة: مطبعة السنة المحمدية، ص ٣٢٢.

(١٠) أبو هلال العسكري، حسن بن عبد الله (١٩٨٨م)، جمهرة الأمثال؛ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش. بيروت: دار الفكر، ص ٩١.

(١١) تقول الرواية إن رجلاً من العطاوة (الرزقات، المسيرية والحوازمة) يُدعى "فنو" تزوج من قبيلة الخُزام وأنجبت له الخزامية صبيّاً. وكانت للصبي ناقةً لبون جداً دخلت ذات يوم في بادية خاله وهو شيخُ الخُزام ويُدعى "شلنقو" فامتنع أن يعيدها له. فقال الولد: يا خالي، البادية حتسير وأنا عايز ناقتي. فرد الخال بغلظة: نحن أكثر من العطاوة. فقال الصبي: أكثر من العطاوة كيف؟ ثم أنشد:

"الساير عطية والمقيم حيماد

والنقارة البتلل راشد الولاد

الناقة وين تلقاها يا الخُزامي الداجُ"

فرد الشيخ:

"لو تلموا جنيد ومجنود

واخوكم السلامي المحبوب

كُور الغنم ما بقابل جبين الدود"

ثم وقعت حرب ضروس بين العطاوة والخُزام ومات فيها خلق كثير أدت إلى تشتت الخُزام بين القبائل (إبراهيم إسحاق (١٩٨٣)، السيرة الهلالية (...). رسالة ماجستير، جامعة الخرطوم. ص ٥).

الدارفوري وهو أن الداجو يستقرون في مكان ما حتى إذا صار مثمراً هجروه وبدأوا في تشييد مكان غيره. وتكتب كلمة "داجو" في المصادر الإنجليزية هكذا Daju أو Dajo أو Dagu أو Dago أو Dageou وفي الفرنسية Dadjo. ولابد من التوضيح أن الاسم Dago ليس له علاقة بالداجو مطلقاً، ذلك لأنه ينطق بالإنجليزية /Deɪɡəʊ/ أي: "ديغو" بالعربية. فهو يطلق في أوروبا على البحارة الأسبانيين والبرتغاليين والإيطاليين. ويطلقه الهولنديون على الألمانين والإسكندنافيين والهولنديين الأصليين. وفي أمريكا يطلق على الطبقات الفقيرة من المهاجرين الإيطاليين. ويطلق أيضاً على العمال في مناجم الفحم في جنوب ويلز (Wales) في إنجلترا. وكلمة "داجو" في اللغة الصينية تعني: "طبل ضخمة" وهناك قلاع تسمى قلاع داجو في الصين.^(١٢)

ويمكن تقسيم روايات أصول الأسرة المالكة عند الداجو إلى ثلاثة آراء وهي الروايات العامة، روايات الأصل الهلالي والعباسي، وروايات الأصل المروي والنوبي.

الروايات العامة

أشار هيليسون (Hillelson) في مقاله "مذكرات عن الداجو مع إشارة خاصة إلى استقرار الداجو في غرب كردفان" المنشور في مجلة السودان في رسائل ومدونات، مجلد رقم (٨)، ١٩٢٥م، إلى أن الداجو، ورغم ضياع ملكهم في دارفور، إلا أنهم يجتذبون اهتمام المؤرخين وعلماء الأنثروبولوجيا؛ فقد انهارت سلطنتهم ربما في القرن السادس عشر الميلادي في دارفور وحل التنجر محلهم.^(١٣) ويشير الدكتور

Cambridge International Dictionary of English (1995). Cambridge: Cambridge University Press, p. 342; Ray Huang (1997) *China: A Macro History*. New York: An East Gate Book, p. 233.

S. Hillelson (1925) "Notes on the Dago with special reference to the Dago settlement in Western Kordofan", *SNR*, vol. viii, pp. 59-78.

هيلمولت (Helmolt) إلى أن ملوك الداجو هم أول من أقام مملكة في دارفور وأنهم جاءوا في الأصل من جهة الشرق كما أن أغلب أسماء ملوكهم تدل على أن أصلهم يعود إلى خليط من العرب وتجري في عروقهم الدماء العربية. وذكر أن الداجو أقاموا مملكة كان مقرها جبل مرة.^(١٤) ورجح مكمايكل (MacMichael) أن يكون الداجو سلالة سودانية قديمة، غير أنهم مدينون في قيام أول سلطنة لهم في دارفور إلى مهاجرين أرقى حضارة وأنشأ هؤلاء المهاجرون طبقة حاكمة خضعوا لها ويعتقد أن هذه الطبقة جاءت من الشرق من وادي النيل.^(١٥) وذكر الرحالة الألماني جوستاف ناختيغال (Gustav Nachtigal) أن الداجو من أكثر القبائل شهرة في دارفور ومنذ مدة طويلة، ولهم كغيرهم من أهل البلاد، رواية تذكر أنهم جاءوا من الشرق.^(١٦) أما الرحالة الألماني الدكتور هنري بارت (Heinrich Barth) فقد أشار إلى أن الداجو ربما هاجروا في الأصل من منطقة جبال فازوغلي جنوب سنار إلى دارفور ووداي وكانوا يعرفون بـ "ناس فرعون" وبرر هذه التسمية بأن حكمهم كان يشبه في نمطه حكم فراعنة مصر القديمة. ويبدو أنهم لم يستقروا لمدة طويلة في كردفان كما استقروا في دارفور. فقد عاشوا جنباً إلى جنب مع الفور لعدة قرون وبمرور الوقت صاروا حكام المنطقة من مركزهم بجبل مرة.^(١٧) ويضيف مكمايكل أن الداجو جاءوا من الشرق وهناك بعض

Hans Ferdinand Helmolt (1903) *The History of the World: A Survey of Man's Record*, (١٤) Volume III, West Asia and Africa. New York: Dodd, Mead and Company, p. 544.

Harold A. MacMichael (1922), *op. cit.*, pp. 71-76; (1915) Notes on the Tribes of Darfur. (١٥) Khartoum: Sir Newbold Library. (Typescripts duplicate written in preparation for the Darfur Campaign in 1916), p. 61.

Gustav Nachtigal (1971) *Sahara and Sudan: Volume Four, Wadai and Darfur*. Berlin: F.V. (١٦) Brodhaus. (Trans. from German by Allan George Barnard Fisher, Humphrey John Fisher, with introduction by Rex Saean O'Fahey, 1971). London: C. Hurst & Company, p. 347.

Heinrich Barth (1857) *Travels and Discoveries in North and Central Africa: Being a* (١٧) *Journal of an Expedition in the Years 1849-1855*, Volume II. New York: Harper & Brothers Publishers, p. 544.

الأدلة على أنهم هاجروا من ديارهم الأصلية من جنوب سنار وفازو غلي كما أن الاسم الذي يطلقونه على أحد بطون الداجو الذي يسمى "فنينجا" قد يدعو للاعتقاد بأن الداجو قد يرتبطون بالفونج.^(١٨) وأشار الشاطر بصيلي إلى أن جماعات من إثيوبيا قد هاجرت إلى النيل الأزرق واتخذت لنفسها لقب "فنج" أو "فونج" وتحرفت كلمة "فنينجا" ومعناها "البيت الحاكم" وهو اللقب الذي ورثته الأسرة الحاكمة في السلطنة الزرقاء عندما انتقلت السلطة وعلى رأسها "عميرة" دنقس^(١٩) إلى سنار.^(٢٠) وذكر ولد البشير أن الداجو هاجروا من إثيوبيا في القرن الثاني عشر الميلادي ووصلوا إلى الدلنج ثم غزوا الفروقي في دارفور وأقاموا سلطنتهم ومن ثم اختلطوا بالوافدين من كل جنس.^(٢١)

وأورد مكمايكل في كتابه "تاريخ قبائل شمال ووسط كردفان" أن الداجو هم في الأصل "عنج" وأنهم استقروا في شمال كردفان لفترة قبل هجرتهم إلى دارفور.^(٢٢) واستنتج بلفربول (Balfour-Paul) أنه من المحتمل أن جميع شعب الداجو هم

(١٨) Harold A. MacMichael (1918) "Nubian Elements in Darfur", *SNR*, vol. 1. p. 36.

(١٩) يتكون اسم "دنقس" من مقطعين، هما "دو" وتعني: "عظيم" و"نقس" وتعني: "نجاشي" وبالتالي يكون معنى الاسم "النجاشي العظيم". فقد كان للسلطان "موم" مؤسس سلطنة الدار الكبيرة في لقاوة ابن يدعى "دنقس" خلفه في الحكم.

(٢٠) الشاطر بصيلي عبد الجليل (٢٠٠٩م)، معالم تاريخ وادي النيل من القرن العاشر إلى القرن التاسع عشر الميلادي (سلسلة دراسات تاريخية سودانية). الخرطوم: مكتبة الشريف الأكاديمية، ص ٤٦-٤٧، ٦٧، ٩١، ٩٥.

(٢١) شيخ الدين عثمان ولد البشير (١٩٩٠م)، كتاب تاريخ وأصول سكان بلادي مرة وكردفان وما جاورهما من بلدان بغرب السودان. الخرطوم: مطابع الحنفي الحديثة، ص ٣٢؛ شيخ الدين عثمان ولد البشير (١٩٩٩م)، كتاب تاريخ وأصول سكان جنوب دارفور الخضراء. الخرطوم: (د.ن)، ص ٦٦.

(٢٢) Harold Al MacMichael (1912), *op. cit.*, p.52.

عبارة عن مجموعات سودانية أصلية ويعود الفضل في قيام إمبراطوريتهم إلى سيادة مجموعات مهاجرة متفوقة في الثقافة قادمة من الشرق.^(٢٣) وأشار ماكينتوش (Macintosh) في مقاله تحت عنوان "مذكرة عن قبيلة الداجو" المنشور في مجلة السودان في رسائل ومدونات إلى أن قبيلة الداجو تتكون من وحدات عشائرية تُحكم بواسطة سلاطين كما هو الحال في ضواحي نيالا، ودارسلا وأجزاء من جنوب كردفان. وحاول المؤلف البحث في أصل القبيلة ومعرفة أسباب تفرق الداجو في عدة مناطق جغرافية شاسعة. وجمع معلوماته من الداجو المقيمين في جنوب دارفور وجيرانهم. ووصف الداجو بأنهم ذوي بنية متينة ويعملون بالزراعة وتربية الماشية. وتوصل إلى أنهم كانوا يسكنون أصلاً على ضفاف نهر النيل بالقرب من شندي.^(٢٤) وذكر أنهم جاءوا إلى دارفور بقيادة السلطان أحمد الداج الذي اشتقوا اسم قبيلتهم منه. ويضيف أن هذا السلطان أقام في منطقة ميرى^(٢٥) بجبل مرة ومن ثم غزا الفروقي والفرتيت الذين كانوا يسكنون مناطق الداجو الحالية. واستقر السلطان بجبل كلوا الذي كان يمثل مركز الإدارة حتى غادره السلطان عمر "كسي فروك"^(٢٦) بعد أن طرد الفروقي والفرتيت.^(٢٧) ويرى ميك (Meek) أن الداجو هم شبه حاميين مثل الفونج أو

H.G. Balfour-Paul (1955) *History and Antiquities of Darfur*. Khartoum: Khartoum National (٢٣) Museum. (Museum Pamphlet No. 3, Sudan Antiquities Service), p. 9.

(٢٤) عندما جاء الجعليون إلى منطقة شندي وأبو دليق لأول مرة وجدوا أهلها الأصليين هم العنج.
(٢٥) ذكر مكمايكل MacMichael أن الفور ميرا هم في الأصل داجو انصهروا في الفور. وهناك نوبة ميرى في كردفان كان يحكمهم سلطان من الداجو فربما نشأت علاقة بين المجموعتين أثناء حكم الداجو لكردفان ودارفور سابقاً.

Harold A MacMichael (1922), *op cit.*, p. 75. (٢٦)

E.H. Macintosh (1931) "A note on the Dago tribe", *SNR*, Vol. XIV, pp. 171-177. (٢٧)

الهمج وأنهم هاجروا بشكل جماعي إلى جهة الغرب من منطقة جبل قدير التي تقع بين تقلي في كردفان والنيل الأبيض. وأضاف أن الداجو تأثروا في يوم من الأيام بالبربر والمصريين وذلك في فترة سبقت دخول العرب إلى السودان بما فيهم بني هلال وبقيّة القبائل الأخرى في القرن الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين.^(٢٨) أما أركل (Arkell) فقد ذكر أن دارفور حكمها قوم مهاجرون ذوو بشرة فاتحة يعتقد أن أصلهم من البربر وهم الداجو. وأضاف أن الأسرة المالكة في دارسلا تدعي النسب إلى كنانة.^(٢٩) بينما تذكر مصادر أخرى أن الداجو لهم صلات بالقبائل الليبية وأيضاً تأثروا بالنوبة حيث تشمل لغتهم بعض المفردات النوبية.^(٣٠)

روايات الأصل الهاللي والعباسي

أشار براون (Browne) إلى أن تاريخ دارفور لم يكن مدوناً عندما زارها عام ١٧٩٣م ولكن التاريخ المعروف كان قد بدأ بعهد إمبراطورية الداجو الذين جاءوا من شمال إفريقيا بعد أن أبعدوا من ضواحي تونس. وأشار إلى أن أصل الداجو قد يكون من البربر أو القبائل العربية التي طردت من الأندلس^(٣١) عقب انهيار الحكم في ذلك الحين، ويذكر أنه قرأ كتيباً استعاره أثناء إقامته في دمشق مكتوب باللغة العربية المبسطة ويتناول تاريخ دخول دعاة الإسلام إلى دارفور من بينهم قبيلة كانت قد استولت

C.M. Meek (1931) *A Sudanese Kingdom: An Ethnographical Study of the Jukun-Speaking Peoples of Nigeria*. New York: Negro Universities Press, pp. 15, 23-25.

A.J. Arkell (1952) "History of Darfur, AD 1200-1700", *SNR*, part one to two No. 22(1-2); (٢٩) (1951), part three to four No. 33(1-2), pp. 65, 269.

(٣٠) محمد عوض محمد (١٩٥٦م)، السودان الشمالي سكانه وقبائله، ط٢. القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة، ص ٢٦٦، ٢٦٩.

(٣١) ليس من المرجح أن يكون الداجو هم العرب الذين طردوا من الأندلس خاصة وأن مخطوطة نسبهم توضح أنهم هاجروا من اليمن.

على مدينة بهنسا في صعيد مصر واستقرت في نهاية المطاف مع الفور في جبل مرة. ويضيف براون (Browne) أن الإسلام بدأ في الانتشار في عهد السلطان سليمان سولونجا^(٣٢) وهو في الأصل من قبيلة الداجو التي حكمت البلاد قديماً قبل الفور.^(٣٣) ويورد الدكتور إبراهيم آدم إسحق رواية شفاهية لأهل دارفور تفيد بأن "خيرة: أي كيرا" هي التي أنجبت سليمان سولونجا مؤسس دولة الفور.^(٣٤) وتفيد الروايات أن

(٣٢) يقال بأن سليمان سولونجا أصلاً من بني هلال والذي أقام سلطنته في نهاية القرن السادس عشر تقريباً وكانت عاصمتها دار "تورا" حتى نقلها السلطان موسى والسلطان أحمد بكر إلى تندلتي الفاشر. وعلق لامبين Lampen أن سليمان سولونجا، مثل السلطان دالي، يقال إنه من أب أجنبي ليس من الفور. فالروايات تختلف حول أصله وأفترض المؤلف أن عشيرة قديمة من الفور تصاهرت مع الأسرة المالكة من التنجر ومن ثم دخل عنصر عربي من جهة الأب والأم من الفور وهو الذي ساد وحكم البلاد. وقدم الكاتب فترات تاريخية تقريبية تبدأ من عام ١٦٤٠م وحتى ١٦٧٠م باعتبارها أول فترة حكم فيها السلطان سليمان الذي خرج منتصراً بعد حرب أهلية فأعاد تكوين السلطنة وأعاد نشر الإسلام واتفق في ذلك مع ناخيتقال الذي رأى أن المسجد الأثري الذي وجد في عين فرح يعود إلى فترة تسبق عهد السلطان سليمان وربما حدثت ردة عن الإسلام في فترة الحرب الأهلية التي سبقت توليه الحكم. انظر:

A. Beaton (1948) "The Fur", *SNR*, vol. xxix, part I., p. 4; G. Lampen (1950) "A short account of Meidob", *SNR*, Vol. XXXI, pp.177-205).

W.G. Browne (1799) *Travels in Africa, Egypt and Syria from the Years 1792 to 1798*. 2nd (٣٣) enl. ed. London: T. Cadell & W. Davies, pp. 280-281.

ويرى أركل (Arkell) أن براون (Browne) ربما خلط بين الداجو والتنجر في هذا المنحى رغم أنه كان الأقرب من الناحية الزمنية لإظهار الحقيقة التاريخية

(A.J. Arkell (1951) "The Medieval History of Darfur 1200-1700 A.D." Part II Chapter V "The Tungur", *SNR*, Vol. XXXII, p. 40.)

وهذا لا ينفي وجود علاقة قديمة بين الأسر المالكة عند الداجو، التنجر والفور فقد حصل الحكماء إسماعيل باشا أيوب، كما سبق وأشرنا، على قائمة لسلطين المسبغات والفور تبدأ بسلطين الداجو ومنهم يتفرع التنجر فالفور ثم المسبغات.

(٣٤) إبراهيم آدم إسحق (٢٠٠٢م)، مرجع سابق، ص ٨.

أصول الداجو ترجع إلى بني هلال وأنهم يضعون على إبلهم وسمّ الهلال^(٣٥) وتذكر روايات أخرى أنّ الداجو من أقدم سكان دارفور حيث حكم منهم ٢١ ملكاً وأنهم عرب وينسبون إلى بني هلال.^(٣٦) وتذكر الرواية أن أحمد المعفور ينحدر من خلفاء الدولة العباسية والذي قاد مجموعة من القبائل البدوية العربية واحتلوا كردفان ودارفور وادخلوا الإسلام.^(٣٧) وتشير رواية منسوبة لمحمود السمرقندي إلى أنه وبعد هروب العباسيين من بغداد نحو عام ١٢٥٨م فقد عبر أبو زيد مع أخيه أحمد العباسي النيل الأبيض وشنوا حملة على النوبة في كردفان. وانهزم النوبة في تلك الحملة ولكن أحمد أصيب بجروح فأطلق عليه كنية "المعفور" وفُقد أثره. ثم عُثر عليه وفضل البقاء في جبال النوبة وتزوج وأنجب وأصبح جد "السقارنج" وهي الأسرة المالكة في جبل تقلي وبعد ذلك هاجر إلى دارفور.^(٣٨) وتذكر الروايات أن الداجو جاءوا من الحجاز بقيادة ملكهم قدير. فقد قادهم هذا الملك إلى منطقة جبال النوبة في جنوب كردفان ولما مات وتخليداً لذكراه أطلقوا اسمه على الجبل الذي يقع شرق مدينة تلودي. ومن كردفان اتجه الداجو غرباً وأخرجوا الفرتيت والفروقي ومن ثم أنشأوا مملكتهم حول مكان

(٣٥) إبراهيم إسحق إبراهيم (١٩٨٣م)، السيرة الهلالية في دارفور: دراسة تطبيقية في مناهج المؤرخين العرب والتراث الشفاهي، رسالة ماجستير في الفولكلور، معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية - جامعة الخرطوم، ص ٨٢-٨٣؛ عون الشريف قاسم (١٩٩٦م)، موسوعة القبائل والأنساب في السودان وأشهر أسماء الأعلام والأماكن، الجزء الخامس: ق-م. الخرطوم: شركة أفروغراف للطباعة، ص ٨١٧. تتخذ عشيرتنا "دُفَقِي" في دارفور و"رُشْنَقِي" في دارسلا من الهلال "U" وسمّاً لهما بينما تشقّ عشيرة "طُروجنَقِي" في دارفور هذا الوسم "U" لوسم إبلهم، ماشيتهم وأغنامهم.

(٣٦) عبد الله علي أبوسن (١٩٦٨م)، مذكرة أبوسن عن مديرية دارفور. الخرطوم: دار الوثائق القومية، ص ١٩.

Edmond de Cadalvène & J. de Breuvery (1841) *L'Égypte et la Nubie*. Paris: Arthus (٣٧) Bertrand, Librairie-Editeur, pp. 198-199.

Ibid., pp. 198-199. (٣٨)

إقامة السلطان بمنطقة جبل كلّوا^(٣٩) وتورد رواية كادلفان وبروفري (Cadavène & Breuvery) أن كردفان ودارفور كان يحكمهما آخر سلطانين من قبيلة الداجو هما "تنجر" و"كسيفور" (كسي فورك)^(٤٠) وتضيف شجرة النسب التي حصل عليها إسماعيل باشا أيوب حاكم دارفور في عهد الأتراك أن آخر ملك للداجو كان يدعى "تنجر" وبعد وفاة أخيه السلطان "كسي فورك" في دارسلا انتقلت السلطة بشكل سلمي من أسرته وهم الداجو إلى أسرة تنجر مؤسس إمبراطورية التنجر^(٤١).

فيما يتعلق بالأصول العباسية تشير الرواية إلى أن نسب الداجو يعود إلى أحمد الداج وأن أسلافهم جاءوا من اليمن^(٤٢) وتضيف مخطوطة أوردها الكاتب الفرنسي هنري بيرري (Berre Henri) صاحب كتاب "سلاطين الداجو في دارسلا (تشاد)"، المنشور عام ١٩٨٥م، أن الداجو جاءوا من جهة الشرق من اليمن حيث أقاموا فيه مدة ٢٧٣ عاماً وأربعة أشهر وفي دارفور^(٤٣) مدة ٣٢٠ عاماً وثلاثة أشهر وفي جبل

C.M. Meek (1931), *op. cit.*, pp. 15, 23-25; Harold A. MacMichael (1922), *op. cit.*, p.75; (٣٩)
A.J. McGregor (2001) *Darfur (Sudan) in the Age of Stone Architecture c.1000-1750*. Oxford: Archaeopress, pp. 27-28.

وعون الشريف قاسم، مرجع سابق، ص ٨١٦.

Edmond de Cadavène & J. de Breuvery, *op.cit.*, p. 198. (٤٠)

(٤١) إسماعيل أيوب باشا (١٨٧٤)، "قائمة سلاطين المسبغات والفور" مودعة بأرشفيف محكمة القاهرة بتاريخ ١٧ ديسمبر ١٨٧٤م. إذا نظرنا إلى ما ورد في مخطوطة النسب التي أوردها إسماعيل أيوب باشا وتلك التي أوردها كادلفان وبروفري نجد أنهما تبرزان الأسرة المالكة عند التنجر وكأنها فرع من الداجو. ومن المستبعد أن يكون ذلك حدث نتيجة لخطأ أو خلط فقد تكون هناك علاقة وطيدة بينهما وإلا لما انتقلت السلطة إلى التنجر سلمياً.

Henri Berre (1984) "DAJU", in *Muslim Peoples: A World Ethnographic Survey*, ed. by (٤٢)
R.V. Weekes. Westport: Greenwood Press, pp. 219-223.

(٤٣) يبدو أن كردفان كانت جزءاً لا يتجزأ من دارفور في ذلك الوقت.

مرة مدة ٢٠٥ عاماً وفي جبل "كُجُنُوا" (يقع في دار المساليت) مدة ١٩٥ عاماً وفي دارسلا قبل دخولهم مدينة "الحفن" مدة ٨٠ عاماً وبعد دخولهم فيها مدة ٢٢٠ عاماً ثم غزاهم الفرنسيون عام ١٩١٦م في عهد السلطان محمد بخيت أبو ريشة.^(٤٤) وبناءً على المخطوطة، فقد أورد هنري بيري في مقاله "أصول الداجو" التسلسل الزمني لتاريخ الأسرة المالكة عند الداجو بيد أن هذا التسلسل في حاجة إلى إعادة بناء، ربما نتطرق إليه في دراسة لاحقة. ونسبة لصعوبة قراءة نص المخطوطة المشار إليها سابقاً والمكتوبة بالعمار فقد رأينا تعديل وحذف بعض نصوصها وعرضها على النحو الآتي:

بسم الله الرحمن الرحيم

تذكرة مباركة من الغلط والنسيان ومناكرة الأنساب في هذا الزمان والحوادث بالنسبة والطعن في أصول الأنساب من جهة نسبتهم لأجل هذا حررنا نسبة الداج جملتهم واقتصرنا بنسبة السلاطين ولقولهم الشخصي إن عرف نسبته من جهة أبيه سبع ومن جهة أمه سبع كفاية كما قال الله تعالى (وَأُولُوا الْأَرْحَامَ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)،^(٤٥) فنبدأ أولاً بنسبة السلاطين (... [وهم] السلطان مصطفى ابن السلطان محمد بخيت ابن السلطان اسحق ابوريشة ابن السلطان الحاج محمد بولاد ابن السلطان محمد عبد اللطيف يعني هو عنقريب ابن السلطان عبد الكريم ابن السلطان عيسى حجر ابن السلطان شرف ابن السلطان صالح ابن السلطان حبيب ابن السلطان حسب الله ابن السلطان آدم ابن السلطان

Henri Berre (1985) *Sultans Dadjo du Sila (Tcahd)*. Paris: Centre National de la Recherche Scientifique (CNRS), p. 94.

(٤٥) الآية (٧٥)، سورة الأنفال.

ابراهيم ابن السلطان أحمد الداج ابن منصور ابن ريان ابن عبد الله ابن سمرة ابن سرور ابن كردم ابن أبي الديس ابن قحطان^(٤٦) ابن قضاة ابن مسروق ابن أحمد الأجزم ابن الريان ابن قضاة ابن الشيخ ابراهيم جعل الأسود ابن سعيد الأنصاري ابن جابر ابن موسى ابن جعفر المتوكل على الله ابن المعتصم بالله ابن هرون الرشيد ابن محمد المهدي ابن عبد الله ابن أبي جعفر المنصور الذي خرج بالراية السوداء من مكة (...) ابن فضل ابن عبد الله (...) ابن العباس رضي الله عنه (...) ذكرهم الشيخ عبد الرحيم الحسني العراقي في شرح الألفية وفي شرح (الأجهوري) وجملة قبائل الداجو محلهم في أرض الصباح بنواحي اليمن اقاموا فيها مائتان وثلاث وسبعون عاماً وأربعة أشهر وفي دار الفور ثلاث مائة وعشرون عاماً وثلاثة أشهر وفي جبل مرة مائتان وخمس عاماً وفي جبل كجنوا مائة وخمس وتسعون عاماً وفي دارسلا قبل دخولهم مدينة الحفن ثمانين عاماً وبعد دخولهم فيها مائتان وعشرين عاماً وبعد هذا دخول النصارى في البلد، إن الله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب، تمت).^(٤٧)

ويبدو واضحاً أن المخطوطة قد دونت بعد احتلال الفرنسيين لسلطنة الداجو في دارسلا في تشاد في عهد السلطان مصطفى. وإذا جاز لنا الأخذ بعام ١١٧١م الذي ورد في النسبة التي أشار إليها مكمايكل سابقاً باعتباره تاريخ بداية عهد مملكة الداجو في كردفان،^(٤٨) فربما دخلت الأسرة المالكة عند الداجو إلى بلاد السودان بعد مضي نحو ٥١٧ عاماً من توغل جيش عبد الله بن ابي السرح في مملكة المقررة

(٤٦) ورد اسمه في المخطوطات الأخرى باسم "حرقان".

(٤٧) Henri Berre (1983) "Origines Dadjo", *Le Mois en Afrique*, Vol. 18, No. 207-208, pp. 94, 123-131.

(٤٨) Harold A. MacMichael (1922), *op. cit.*, p. 75.

وعاصمتها دنقلا العجوز في عام ٦٥٢م^(٤٩) وأن اسم قبيلة الداجو لم يكن معروفاً (ربما كانوا هجيناً من النوبيين وبني العباس) حتى تنصيب السلطان أحمد الداج سلطاناً على دارفور فانتسبوا إليه منذ ذلك الحين. وتؤكد مصادر أخرى أن سلطنة دارسلا حكمها ١٤ سلطاناً، أولهم السلطان سلا وخلفه ابنه أحمد الداج،^(٥٠) وآخرهم السلطان محمد بخيت أبو ريثة.^(٥١) وتذكر الروايات أن من قادة الداجو الذين خلفوا جدهم الملك قدير في كردفان كل من ماي وزلف وكاميتيني وعمر وعبد الله بحور وأحمد الداج.^(٥٢) أما سلاطين الأسرة المالكة في دارفور فيوردهم كل من مكمايكل وماكينتوش حيث يشير أن إلى أن أكثر السلاطين تذكر في دارفور هو السلطان أحمد الداج الذي أنشأ الإمبراطورية في دارفور ثم السلطان عمر الملقب بـ"كسي فورك" الذي انتهت في عهده الإمبراطورية. ورغم ضعف ذاكرة مصادر معلوماتهما من الشيوخ والأعيان إلا أن المؤلفان استطاعا الحصول على سلسلة أسماء سلاطين الداجو في دارفور وأولهم السلطان أحمد الداج، السلطان زلف، السلطان عبد الله بحور، السلطان حسين الملقب بـ"مرفعين"، السلطان بليل^(٥٣) ثم السلطان عمر "كسي

(٤٩) مكي شبكة (١٩٩١)، السودان عبر القرون، بيروت: دار الجيل، ص ٢٩.

(٥٠) يقال إن لديه عدداً من الإخوة منهم فيرنى مؤسس أسرة دار الداجو في تشاد، محمد الداج مؤسس أسرة الزغاوة كوبي بالإضافة إلى مؤسس أسرة التاما وغيرهم.

(٥١) Samuel Decalo (1997) *Historical Dictionary of Chad*. 3rd ed. (African Historical Dictionaries, No. 13). London: Scarecrow Press, Inc., p. 144.

انظر أيضاً: أحمد عبد القادر أرباب (١٩٩٨)، تاريخ دارفور عبر العصور. الخرطوم: بنك الغرب الإسلامي، ص ٤٠. هو ابن الأمير سلا ابن السلطان عمر الملقب بـ"كسي فورك".

(٥٢) عون الشريف قاسم (١٩٩٦)، مرجع سابق، ص ٨١٦.

A.J. McGregor (2001), *op. cit.*, pp. 27-28; C.M. Meek (1931), *op. cit.*, pp. 15, 23-25; Harold A. MacMichael (1922), *op. cit.*, p. 75.

(٥٣) أطلق اسمه بعد وفاته على مسقط رأسه قرية بليل شرق نيالا.

فورك".^(٥٤) وقد أورد العميد معاش أحمد عبد القادر أرباب تلك الأسماء خطأ كالآتي: السلطان عبد الله داج، السلطان قيتار بن مكتنق، السلطان سلف بن قيتار، السلطان فام بن سلف، السلطان آمن بن فام، ثم السلطان عمر بن آمن "كسافرو" (أي كسي فورك) وهذه إحدى مشكلات كتابة التاريخ بواسطة الروايات.^(٥٥) وفي خطابه إلى الإدارة الفرنسية أشار السلطان محمد بخيت أبوريشة إلى أن رئاسة سلطنة الداجو انتقلت غرباً بعد حادثة التيتل في أم كردوس إلى منطقة جبل كُجُنُوَا بغرب دارفور بقيادة السلطان بحر وفي عهد السلطان يعقوب بك دروا هاجروا إلى مدينة الحفن.^(٥٦) ومرد ذلك هو أن هنري بيرري (Henry Berre) ربما لم يطلع على قوائم الأسرة المالكة عند الداجو في كردفان ودارفور وإنما اكتفى بقائمة دارسلا.

ويتبين من المخطوطة المذكورة سابقاً أن نسب الداجو يلتقي مع نسب المجموعة العباسية في السودان رغم بعض التباين. فالجامع لقبائل تلك المجموعة، كما تورد الروايات هو كردم بن أبي الديس بن قضاة بن حرقان بن مسروق بن أحمد اليماني

(٥٤) E.H. Macintosh (1931), *op. cit.*, pp. 172-173.

لقب "كسي فورك" يتكون من "كس" وتعني "أزاح" و"فورك" هم مجموعة من القبائل الذين كانوا يسكنون مناطق الداجو الحالية في دارفور، وهو لقب السلطان عمر آخر سلاطين الداجو في دارفور وصاحب قصة التيتل المشهورة. أقر ماكينتوش بأن مصدر معلوماته من الشيوخ وكبار السن كانوا متأكدين من أن أحمد الداج هو أول السلاطين وعمر كسي فورك هو آخرهم ولكنهم غير متأكدين من تسلسل أسماء السلاطين حسب الترتيب الزمني الصحيح لقدم تاريخ السلطنة وعدم وجود وثائق مدونة.

(٥٥) أحمد عبد القادر أرباب (١٩٩٨)، مرجع سابق، ص ٣٩.

(٥٦) Lidwien Kapteijns & Jay Spaulding (1988) *After the Millennium: Diplomatic Correspondence from Wadai and Dar Fur on the Eve of Colonial Conquest, 1885-1916*. Michigan: Michigan State University - African Studies Center. (Northeast African Studies Series; Monograph No. 18), p. 486.

بن إبراهيم جعل بن إدريس إلى العباس.^(٥٧) فقد هاجر إلى السودان في عهد خلافة بني العباس وهو أمير وقائد على ثلاثين راية حتى وصل إلى كردفان في فتوحاته. ويقال أن للسلطان كردم حسن كردم بن أبي الديس عشرة أبناء منهم سبعة عادوا إلى الكوفة أما الذين عُرِفوا وحُفِظَت ذُرِّيَّتُهُمْ ودُونت عند النسابين فهم ثلاثة: دوكة^(٥٨) وتمام وسرار. ومن أولاد دوكة "السقارنج" وهم سلاطين جبل تقلي وسلاطين الفور^(٥٩) وتذكر رواية أخرى أن الجعليين ينحدرون من العباسيين الذين جاءوا من بغداد بنهاية القرن الثالث عشر الميلادي حيث مكثوا في مصر لفترة وجيزة ثم اتجهوا صوب بلاد السودان فاستقر بعضهم على ضفاف نهر النيل واتجه آخرون نحو دارفور ووداي.^(٦٠)

وعرض باحث آخر محتوى مخطوط اطلع عليه ضمن مجموعات أرشيف السودان بجامعة درم (Durham) في إنجلترا. وعنوان المخطوط هو "كتاب معارف أصول العرب والنسب" للحسن بن الحاج إدريس بن ضوا بن إدريس بن ميرف.

(٥٧) الحاج عبد الرحمن محمد (١٩٢١)، "كتاب شجرة الأنساب الذي يتفرع القبائل منه في أصول العرب والملوك". مخطوطة رقم ٩١٠/٢٧/١ مودعة بدار الوثائق القومية بتاريخ ١٥/٠٨/١٩٧٤م. الخرطوم. ص. ٢٠-٢١؛ وعثمان الحاج حمد الله (د.ت)، سهم الأرحام في السودان. الجزء الأول. القاهرة: مكتبة القاهرة، ص ٧، ١٦٩.

(٥٨) رُبما حُرِفَت اللام فصارت كافاً وذلك لأن اسم "دوكة" ورد في مخطوطة "كتاب معارف أصول العرب والنسب" التي سبق الإشارة إليها هكذا "دولة" أو ربما ورد خطأً أو نتيجة لسهو إملائي أثناء النقل. (٥٩) عون الشريف قاسم (١٩٩٦)، مرجع سابق، ص ١٩٥٨. أورد ابن حزم الأندلسي أنه وُلِدَ لعبد الله بن العباس: العباس ومحمد والفضل وعبد الرحمن، ولا عقب لواحد منهم؛ ووُلِدَ له علي، وهو أصغرهم، وفيه الجَمْهَرَة والعدد والبيعة والخلافة ولا عقب لعبد الله من غير علي (١٩٤٨)، جمهرة أنساب العرب، ص (١٥-١٧).

Jackson, H.C. (1955) *Behind the Modern Sudan*. London: Macmillan & Co. Ltd., p. 98. (٦٠)

ويشير المخطوط إلى أن كردم مسكنه بأرض الحجاز وبالأرياف واسمه السلطان حسن كردم بن أبي الديس وأولاد أبو الديس اثنين، هما ترجم وكردم. فكردم أولاده ثلاثة دولة وتام وسرار. أما دولة فأولاده الفور والسقارنج. أنجب الفور ملوك الفور والسقارنج أنجب ملوك ثقلي وتام أنجب التمام. ولم يذكر أولاد سرار. فالسودان قبل العهد التركي المصري كان عبارة عن ممالك قبلية مستقلة ومعظمها تنتمي إلى العنصر العربي وفي بعضها تنتمي الأسر الحاكمة لسلالات عربية مثل الفور، الفونج والعبدلاب.^(٦١) وهناك بعض المؤلفين تشككوا في صحة تلك الأنساب العربية.^(٦٢)

يجدر بالذكر أن ما سبق كان استعراضاً لروايات الأصول الهلالية والعباسية للداجو. أما الجزء التالي فيستعرض روايات الأصل المروي والنوبي.

روايات الأصل النوبي والمروي

تذكر المصادر أن النوبة في كردفان هاجروا غرباً من وادي النيل ربما حوالي عام ٥٠٠م.^(٦٣) وأورد محمد رياض أن أول هجرات النوبيين من وادي النيل بدأت عندما هاجر الداجو بعد تحالفهم مع عدد من القبائل النوبية هي البرتي والبرقد والبيقو والتنجر. وأحدث الهجرات التي تلت ذلك هي هجرة قبيلة الميذوب إلى منطقة شمال دارفور.^(٦٤) وفي مقال لبروس جي. تريجر (Bruce G. Trigger) تحت عنوان:

(٦١) فيصل محمد موسى (١٩٧٩)، "تحقيق مخطوط أصول العرب والنسب في السودان"، جريدة الصحافة، العدد ٦٢٢٢، الخميس ١٩ يوليو ١٩٧٩م، ص ٩.

A.J. McGregor (2001), *op. cit.*, pp. 24, 26; A.J. Arkell (1952), *op. cit.*, p. 215; Arthur E. (٦٢) Robinson (1928), *op. cit.*, p. 65; Rex S. O'Fahey (1980) *State and Society in Dār Fūr*. London: C. Hurst & Co. Publishers, p. 49.

R. Herzog (1957) *Die Nubier*. Berlin: Akademie-Verlag, Deutsche Akademie der (٦٣) Wissenschaft, Völkerkundliche Forschungen, 2.

Mohammed Riad (1959) "The divine kingship of the Shilluk and its origin", in *Archiv für* (٦٤) *Völkerkunde*, Bd. 14. Wien: W. Braumüller, pp. 141-284.

"اللغة المروية واللغات السودانية الشرقية: هل من علاقة بينهما؟" افترض المؤلف أن اللغة المروية تنتمي إلى مجموعة اللغات السودانية الشرقية وأنها ربما انفصلت عن هذه المجموعة قبل ٣٠٠٠ عام.^(٦٥) علماً أن لغة الداجو تنتمي إلى تلك المجموعة حسب تصنيف البروفيسور جوزيف جرينبيرج (Joseph Greenberg).^(٦٦) ويؤكد أوفاهي (O'Fahey) أن هناك خصائص لغوية تربط البرتي والميدوب والداجو والبيقو بالنوبيين، وأنهم هاجروا من وادي النيل إلى كردفان ثم استقروا في دارفور.^(٦٧) وذهب البروفيسور روبين ثيلويل (Robin Thelwall)، الذي أعد رسالة دكتوراه في لغة الداجو، إلى أن الداجو في الأصل نوبيين جاءوا من منطقة قصر إبريم.^(٦٨) أما هندرسون (Henderson) فقد أوضح أن أصل الداجو غير معروف. وأشار في مقاله "مذكرات عن الداجو" المنشور في مجلة السودان في رسائل ومدونات إلى أن أصول الداجو، البيقو والبرقد مختلف فيها وخلص المؤلف إلى أن اختلاط الداجو والبيقو يمثل الجزء الجنوبي من "المجموعة ب" النوبية والذين تعود أصولهم إلى بلاد نهر النيل بين النوبة في جنوب كردفان والفرتيت حيث اندمج الداجو واكتسبوا عناصر وخصائص المجموعتين ليشكلوا سمات متباينة الملامح والأصل.^(٦٩) هذا وقد أطلق البروفيسور الألماني ارنست زيلرز (Ernest Zyhlers) اسم المجموعة "ب" على

Bruce G. Trigger (1964) Meroitic and Eastern Sudanic: A Linguistic Relationship?, *Kush*, (٦٥) No. XII, p.193.

Joseph Greenberg (1966) *The Languages of Africa*, 2nd ed. The Hague: Mouton & Co., p. (٦٦) 95.

Rex S. O'Fahey (1980), *op. cit.*, pp. 4, 7. (٦٧)

Robin Thelwall & Thilo C. Schadeberg (1983) "The Linguistic Settlement of the Nuba (٦٨) Mountains", *Sprache und Geschichte in Afrika* (5), pp. 219-231.

K.D.D. Henderson (1932), *op. cit.*, p. 151; K.D.D. Henderson (1939) "A Note on the (٦٩) migration of the Messiria tribe into South West Kordofan. Part I.", *SNR*, vol. xxii, pp. 54.

النوبة الذين ذكرهم عيزانا ملك مملكة اكسوم الحبشية في النقش الحجري، الموجود في المتحف القومي في الخرطوم. وهو يرى أنهم مكثوا إلى حين في مروي بعد دمار عاصمتهم ثم اتحدوا بعد عدة قرون مع أقربائهم في الشمال واعتنقوا المسيحية.^(٧٠) وأشار أركل إلى أن أصل الداجو يرجع إلى خليط من الحاميين والبربر أو المرويين^(٧١) وذكر نفس المؤلف في مصدر آخر أن الأسرة المالكة في مملكة مروي قد لجأت أثناء غزو عيزانا لمملكة مروي التي حكمت بلاد كوش لأكثر من ألف عام في القرن الرابع الميلادي مما اضطر تلك الأسرة إلى الفرار ناحية الجنوب الغربي عبر كردفان إلى دارفور لتنشئ مملكة جديدة هناك في إشارة إلى مملكة الداجو.^(٧٢)

أما الموسوعة البريطانية فتذكر أنه في فترة ما قبل التاريخ كان سكان شمال دارفور تربطهم علاقات وطيدة بحقبة ما قبل الأسر المالكة في وادي النيل. ففي نحو عام ٢٥٠٠ ق.م يرجح أن دارفور كانت تقع ضمن نطاق القوافل التجارية القادمة من أسوان في مصر. وربما ارتبط الداجو، حكام دارفور الأوائل، بقدماء المصريين حيث كانت الأنشطة التجارية تتم بين دارفور ومصر في زمن مملكة الداجو وبين مدن في مملكتي نبتة ومروي.^(٧٣) وتشير الموسوعة الكولومبية إلى أن دارفور سكنها في فترة ما قبل التاريخ شعوب تربطهم صلات قوية بحقبة ما قبل الأسر المالكة في مصر. فمن

Ernest Zyhars (1928) "Zur Stellung des Darfur-Nubischen", *Wiener Zeitschrift für die Kunde des Morgenlands* 35, p. 209.

A.J. Arkell (1952), *op. cit.*, p. 205. (٧١)

A.J. Arkell (1955) *A History of the Sudan from the Earliest Times to 1821*. (2nd rev. ed.). (٧٢)
London: University of London, the Athlone Press, pp.173-176.

Safra E. Jacob & Jorge Aguilar-Cauz (eds.) (2005) *The New Encyclopedia Britannica*, (٧٣)
vol.3. Chicago: Encyclopedia Britannica, Inc., p. 885.

المحتمل أن الأسرة المالكة في مملكة كوش التي سقطت نحو عام ٣٥٠م قد أنشأت مملكة في دارفور بعد أن عبرت نهر النيل إلى جهة الغرب.^(٧٤)

ويعتقد ميردوك (Murdock) أن العلماء لاحظوا وجود عادة تقديس الملوك في السودان عند الشك ويرون أنها قادمة من مصر الفرعونية عبر مروي والممالك المسيحية في شمال السودان ربما في القرن الرابع قبل الميلاد ووجدت هذه العادة عند عدة قبائل تصنف لغوياً تحت مجموعة اللغات السودانية الشرقية وتشمل الميديوب، النوبة في جبال النوبة، الداجو وبعض المجموعات التي تخضع للهمج في سلطنة الفونج.^(٧٥)

وذكر روبنسون (Robinson) أن من أقدم الشعوب التي استوطنت كردفان هم شعب أسود يسمى الداجو ومن وجهة النظر الاثنية يُعرف القليل جداً عن سكان السودان الأصليين الذين هاجروا بعد سقوط مملكة مروي.^(٧٦) وتذكر المصادر أن كردفان تأثرت بالحضارتين المروية والمصرية القديمة. وأن بعض الفراعنة المصريين كانوا قد فروا من قاندهم وأنشأوا ثلاث مدن جنوب غرب مروي في المنطقة بين كردفان وبحر الغزال.^(٧٧) ويعتقد ريتشارد لوبان (Richard Lobban) أن أصل الداجو قد

William H. Harris & Judith Levey (1975) *The New Encyclopedia Columbia*. New York, (٧٤) London: Columbia University Press, p. 720.

George Peter Murdock (1959) *Africa, its Peoples and Their Culture History*. New York: (٧٥) H. Rhotert, Libysche Felsbilder (Darmstadt, 1952). pp.170,189.

Arthur E. Robinson (1929), *op. cit.*, p. 275. (٧٦)

G.A. Wainwright (1947) "Some Ancient Records of Kordofan", *SNR*, vol. xxviii, pp. (٧٧) 11-24.

يعود إلى زمن الأسر المصرية الفرعونية القديمة.^(٧٨) ويورد كل من بارت وناختيغال أن الداجو في دارفور كانوا يُعرفون بـ "ناس فرعون" كما سبقت الإشارة إلى ذلك.^(٧٩)

ويرى الشاطر بصيلي أن دارفور كانت ميدانا تقابلت فيه الهجرات وطرق القوافل كما كانت أيضا ملجأ للأسر الحاكمة التي خرجت من حوض وادي النيل الأوسط حيث حدثت هجرات الأسر الحاكمة في مملكة "مرو" (مروي) في القرن الثالث الميلادي. واعتماداً على الإدريسي، ذكر الشاطر بصيلي أنه وفي منتصف القرن الثاني عشر الميلادي، حدث هجوم من النوبة على دارفور كان من نتيجته تخريب مدينة الداجو (يقصد سمنة).^(٨٠) ويعتقد آركل أن هاركوف (Harkhof)، وهو قائد من زمن الأسر الفرعونية المصرية، ومعه تجار قد وصلوا المنطقة الواقعة غرب النيل بما فيها كردفان ودارفور وربما نصب أحدهم أو جماعة منهم أنفسهم حكاماً محليين على هذه البلاد. وهناك وسم يستخدمه أوائل سلاطين دارفور التقليديين وهم الداجو وكان لا يزال يستخدم في دارسلا يمكن أن يفسر فقط على أنه شكل من أشكال الكتابة الهيروغليفية المصرية القديمة.^(٨١) ويستخدم الداجو العصاتين والنقارة (النحاس) وتكونان الرمز القبلي (OII) وهو رمز يشير، حسب آركل، إلى الإله "عنخ" في رموز الكتابة الهيروغليفية ويجسد رمز الحياة ويوجد دائماً في يد الآلهة والملوك

Ritchard Lobban (2003) *Historical Dictionary of Ancient and Medieval Nubia*. Lanham: (٧٨) Rowman & Littlefield, p. 126.

Henrich Barth (1857), *op.cit.*, p. 544; Gustav Nachtigal (1971), *op.cit.*, p. 347. (٧٩)

(٨٠) الشاطر بصيلي عبد الجليل (١٩٧٢)، تاريخ وحضارات السودان الشرقي والأوسط من القرن السابع إلى القرن التاسع عشر الميلادي (سلسلة المكتبة العربية؛ رقم ١٢٠). القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص. ٣٧٥.

A.J. Arkell (1955), *op. cit.*, p. 176. (٨١)

في الحضارة المصرية القديمة.^(٨٢) ومما يعزز الفرضية المروية أن هناك أساليب لحفر الأنفاق وهي ما تزال موجودة الآن ضمن آثار سلطنة الداخو في جبال الداخو مثل سَلْبَقَتَا، أموري وكلوا. فمن أين جاءت أساليب حفر الأنفاق؟ تشير الدراسات إلى أن الفراعنة في مصر القديمة استخدموا الأنفاق لأغراض الحماية والتمويه أثناء الحرب ولأغراض دفن الملوك وكنوزهم وتستخدم أيضاً للاختباء من الأعداء.^(٨٣) ووجد أركل تمثالاً لشخص يحمل قوساً يعتبر من تماثيل الحضارة المروية في جبل أموري وهو أحد جبال الداخو الذي يقع شرق مدينة نيالا وأودعه في المتحف القومي في الخرطوم.^(٨٤) يجدر بالذكر أن نسبة الداخو إلى داج الأكبر بن مرينقو بن تنجر تكرور الأكبر بن كوش تتناقض مع النسبة المذكورة في نفس المصدر الذي وردت فيه وهو كتاب "تاريخ دارفور عبر العصور" للعميد معاش أحمد عبد القادر أرباب.^(٨٥) حيث تنتمي الأولى إلى الكوشيين بينما تنتمي الثانية إلى العباسيين. ولم يوثق المؤلف لمصدره الذي استقاها منه لأول مرة.

الخاتمة

رغم أن هناك عدداً من الروايات التي تشير إلى انتساب بعض قبائل دارفور إلى الأسرة المالكة عند الداخو إلا أن الحاجة ملحة لإعداد المزيد من البحوث في هذا

(٨٢) A.J. Arkell (1932) "Fung origins", *SNR*, Vol. 15, No. (2), pp. 201-250, 235.

(٨٣) A.J. Arkell, Midant-Reynes and Ian Shaw (2000) *The Prehistory of Egypt*. Oxford: Oxford University Press, p. 211; John Kenrick (1850) *Ancient Egypt Under the Pharaohs*, Vol. II. London: B. Fellowes, p. 509.

(٨٤) A.J. Arkell (1968) "Meroe thus far" (Review of Meroe, A Civilization of the Sudan by P.L. Shinnie), *Journal of African History*, No. (9), p. 160.

(٨٥) أحمد عبد القادر أرباب (١٩٩٨)، مرجع سابق، ص. ٤٠.

الصدد. كما أن الغموض الذي يلف العلاقة بين الأسر المالكة عند الداو، التنجر والفور فُسر هنا بأنهم قد يرتبطون بنسب واحد ويختلفون من جهة الأم لأن طريقة النسب التي كانت سائدة في كردفان ودارفور هي توريث ابن بنت السلطان. وتخرج هذه الدراسة بنتيجة مهمة هي أن الأسرة المالكة عند الداو كانت تحكم عدداً من الأمم والشعوب المختلفة التي تتكون من العرب، والنوبيين وغيرهم والذين نسبوا إليهم بعد زوال المملكة. فمن ناحية تعبر الآراء الثلاثة التي أُستعرضت سابقاً عن فداحة الإهمال غير المتعمد في تدوين تاريخ مملكة الداو مما يجعل ظهور أية معلومات عن تاريخها لاحقاً يبدو وكأنه انتقاص من إرث مملكتي التنجر والفور التاليتين لها. ومن الناحية الأخرى نجد أن تعدد تلك الآراء يُكسب تاريخ مملكة الداو صفة الدينامية ويجردها من الجمود. والروايات التي تشير إلى انتمائهم للأسرة المروية تحتاج لأدلة مادية من الآثار والمعالم الموجودة حالياً. وتبقى هناك مشكلة وهي أن تلك الممالك قد تأسست في جبل مرة وما حوله ولكل مملكة آثار تحتاج للتنقيب بواسطة خبراء الآثار. وأنشطة التنقيب عن الذهب الجارية حالياً في جبال الداو قد تهدم تلك المعالم والآثار، وبالتالي قد تطمس معالم وتاريخ تلك المملكة إن لم تسع الجهات المعنية لحماية تلك المواقع.